مكتبة فلسطين للكتب المصورة

إخترنا للطالب

موقف القومية العربية من الصهيونية

بقلم

الدكتور عبد الثاني غنيم

اخترنا للطالب

العـدد ٤٠

موقف القومية العربية من الصهيونية

بقـلم

الدكتور عبد الغنى غنيم

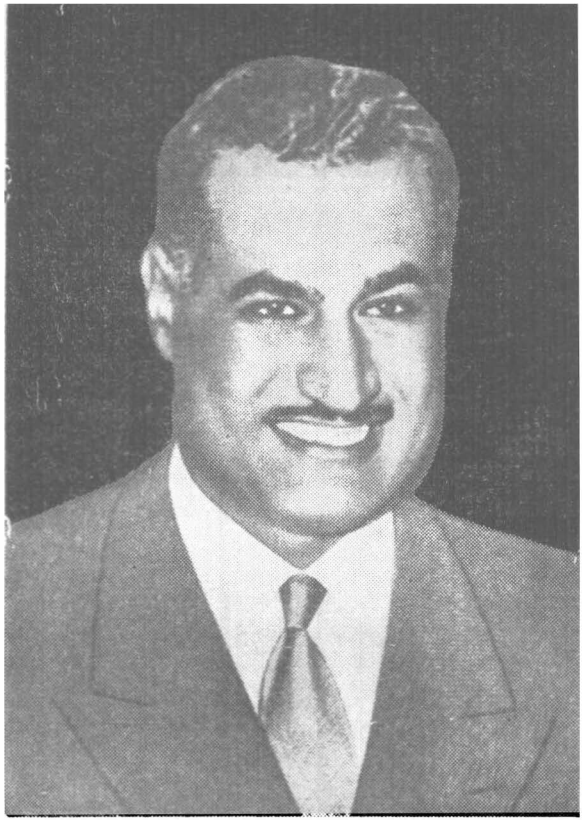

* زائد القوميـة العربية *

بسم الله الرحمن الرحيم

الصهيونية Zionism حركة سياسية تذرعت بأسباب دينية ، وعوامل قومية وعاطفية ، لتحقيق أهداف عدوانية ، لا تستند إلى أية أسس قانونية أو خلقية ، وقد اختار زعماء الحركة اليهودية لحركتهم ذلك الاسم لاعتبارات مقصودة ، أهمها ربط الفكرة السياسية للصهيونية بالرقعة المكانية ، لتكتسب مفهوماً قومياً ، ذلك لأن لفظة « صهيونية » مشتقة من كلمة « صهيون » أحد جبال القدس ، كما أنهم أرادوا أن يلبسوا عقيدتهم السياسية ببعض ما ورد فى الأسفار اليهودية التى طالما رددت قدسية «صهيون» ليدعموا الفكرة تدعيماً روحياً إلى جانب التدعيم القومى .

ولكى نتفهم موقف القومية العربية من هذه الحركة العدوانية الخطيرة يحسن أن نجمل المراحل التى مرت بها الحركة الصهيونية الحديثة إجمالا تقتضيه الظروف المرتبطة بالموضوع ، ذلك لأن هذه الحركة لم يقتصر تاريخها على مجرد الجهود التى بذلها زعماء

اليهود لتحقيق فلسفة هذه الفكرة ، وإنما تأثرت إلى حد كبير بالظروف السياسية التى أحاطت بالعالم العربى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وسياسة الدولة العثمانية ، واتجاهات الحكومة القيصرية الروسية ، ومنعطفات السياسة الأوروبية فى ألمانيا وفرنسا وانجلترا ، وموقف السياسة الأمريكية من ذلك كله .

المرحلة الأولى للحركة الصهيونيه

(من منتصف القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب العالمية الأولى)

بدأت هذه المرحلة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والبلاد العربية تمر بفترة حرجة من أخطر فترات حياتها ، حين وقعت بعضها فعلا تحت نير الاستعمار الأوروبى كما حدث بالنسبة للجزائر وتونس ومصر وعدن ، والبعض الآخر يترقب نفس المصير ، وفى نفس الوقت كانت الدولة العثمانية تتعرض لظروف سياسة ومالية أثرت فيها إلى حد كبير .

ووسط هذه الأعاصير السياسية المحيطة بهذه المنطقة ، بدأ

اليهود ينظمون صفوفهم على يد بعض زعمائهم من أمثال تيودور هوتزل T. Hertsel وادموند روتشيلد E. Rothschild ولم يكن تعدادهم فى ذلك الوقت يزيد على ٧٧٥٠٠٠ (٨٨ر٥٪ فى أوروبا ، ٨٪ فى البلاد الشرقية والباقى عبر البحار) وتركز النشاط الصهيونى فيما يعرف « بالتنظيم الصهيونى العالمى The world Zionist Organisation وينضوى تحت هذا التنظيم الصهيونى العالمى هيئتان ، الأولى المؤتمر الصهيونى العالمى The world Zionist Congress والمجلس التنفيذى للمؤتمر The Executive Council of the Congress والثانية الوكالة اليهودية The Jewish Agency والمجلس الإدارى لهذه الوكالة The Administration of the Agency ، وقد تم عقد أول اجتماع للمؤتمر الصهيونى العالمى فى مدينة بازل Basle بسويسرة Switzerland سنة ١٨٩٧ لتنظيم الحركة الصهيونية والعمل على إيقاظ الوعى اليهودى وتشجيع الهجرة إلى فلسطين وقد بدأ التنظيم الصهيونى فعلا بتكوين أربع مستعمرات صهيونية فى فلسطين هى مستعمرات Richon-Le-Zion Zikron Yacob (Roshpinah, Petah-Tikvah)) وطلب إلى اليهود فى جميع أنحاء العالم أن يحتفظوا إلى جانب ولائهم لقوانين

البلاد التى يعيشون فيها بولائهم لهذه المنظمات الصهيونية العالمية ، غير أن هذه المحاولات الصهيونية لم تخرج فى هذه المرحلة الأولى عن نطاق الإعداد والدعوة والتوجيه النظرى والسلمى دون أن تتمكن من تحقيق أية أهداف عملية ، مما جعلها هدفاً للنقد المرير من زعماء المرحلة الثانية ، وإن كان ذلك يرجع إلى عدة عوامل نجملها فيما يلى :

« أولا » أن الحركة الصهيونية كانت فى بداية طريقها ولم تكن قد رسخت قدمها بعد وعلى الرغم من الجهود التى بذلها هرتزل فى هذا السبيل والتى نشرها فى كتابه المعروف « الدولة اليهودية » فقد انتقده الزعيم الصهيونى « حايم ويزمان » فى كتابه « التجربة والخطأ Trial and Errors » بقوله « إن الصهيونية التى اعتنقها هرتزل سلكت مسلك الحركات الانسانية التى تهدف إلى أخذ المال من أغنياء اليهود والاستعانة به على توفير حياة كريمة للفقراء منهم بمحاولة إعادتهم إلى فلسطين لاستعمارها ، إما بالحصول على ترخيص من السلطان بالاتصال به مباشرة باعتباره صاحب السلطة العليا على فلسطين أو باقناع الدول الكبرى للضغط عليه للتسليم لهم بمطلبهم وقد انتهت كل هذه المساعى إلى الفشل .

« ثانياً » على الرغم من الضعف الذى انتاب الدولة العثمانية : والضائقة المالية التى كانت تمر بها فقد رفض السلطان عبد الحميد العروض التى تقدم بها البنك الوطنى اليهودى له . نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين . بل أنه أصدر فرمانا حرم فيه هذه الهجرة ورفض جميع ألوان الضغط التى بذلها اليهود عن طريق بعض الدول الأوروبية للتراجع عن هذا القرار الذى ظل معمولا به حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

« ثالثاً قيام التنافس والصراع بين كل من فرنسا والروسيا وانجلترا حول وفلسطين لقد بدأ هذا التنافس بين وفرنسا والروسيا حول نفوذ كل من الدولتين على الرعايا المسيحيين فى أملاك الدولة العثمانية واضطرت تركيا إلى توقيع معاهدة « كجوق كينارجى » مع الروسيا فى سنة ١٧٧٤ لتحقيق اطماعها فى هذا السبيل ، كما تنازلت لفرنسا عن مفاتيح الأماكن المقدسة فى منتصف القرن التاسع عشر مما كان سببا فى قيام الحرب المعروفة بحرب القوم ، ثم دخلت انجلترا ميدان ذلك التنافس بعد احتلالها مصر وأصبح نفوذها فى هذه المنطقة ضروريا لصالح الاستراتيجية البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط ، ولم يكن ذلك كله لصالح الفلسفة الصهيونية، التى بدأت تركز اهتمامها بربط مصالحها بمصالح بريطانيا

فى فلسطين وتسعى جاهدة لإخراج هذه المنطقة من حيز الصراع الدولى إلى تأييد السيادة البريطانية التى كان تحقيق الأطماع الصهيونية رهيناً بوجودها

« رابعاً » كانت سياسة القيصرية الروسية تقف سداً منيعاً دون أية محاولة من جانب حلفائها الغربيين لترضية الآمال الصهيونية والاطماع اليهودية فى فلسطين مستندة فى ذلك إلى أن تحويل فلسطين إلى دولة يهودية سوف يدنس الأراضى المقدسة ويبذر المشاكل والعوائق أمام الأعداد الغفيرة التى كانت تخرج من روسيا كل عام للحج إلى هذه الأماكن، وقد تعرض لهذه الناحية بشىء من الاسهاب الاستاذ « أرنولد توينبى » استاذ الدراسات الدولية بجامعة لندن ومدير المعهد الملكى البريطانى للأبحاث الدولية فى كتابه « دراسة فى التاريخ A Study of History

« المرحلة الثانية للحركة الصهيونية »

(من الحرب العالمية الأولى إلى إعلان وعد بلفور)

تعتبر هذه المرحلة على قصر مدتها من أخطر المراحل التى مرت

وفى الوقت الذى تؤكد فيه الحقائق السياسية التاريخية والقانونية هـــدم الكيان السياسى لاسرائيل ، نرى مشروعية الكيان السياسى الفلسطينى تؤيده الحقائق الدامغة التى ذكرناها لتقويض الوجود الشرعى لاسرائيل، يضاف إلى ذلك الحقيقة الواضحة التى أبرزها المؤتمر العالمى الذى أقامه الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة فى غزة فى نوفمبر ١٩٦٠ والتى أبرز فيها حقيقة الكيان العربى الفلسطينى ، فالشعب العربى الفلسطينى مازال موجوداً قوياً لم تزعزعه الأحداث الجسيمة التى مرت به طوال هذه السنين ولم تعبر الأهوال التى صادفها والنكبة التى حلت به من قوة إيمانه وعزمه واصراره على العوده . . العودة إلى وطنه الأصيل .

والأرض الفلسطينية مازالت موجودة تنادى أصحابها ، وتحت ترابها أنين الشهداء من الأبنـاء والرجال والنساء ، وفوق ترابها صرخات الأحياء الذين سيتولون إستقبال العائدين، فى يوم . هو. جد قريب .

والامكانيات المـادية والبشرية والثقافية لعرب فلسطين تؤكد حقيقة الكيان الموجود .

وأخيراً : القومية العربية . . قضاء الصهيونية .